الفصل الخامس

الجبهة المسلحة

obeikandi.com

obeikandl.com

يا عرب

الله أكبر ، ولك يا رب الحمد من العرب

الله أكبر ، ولك يا رب الشكر من العرب

إن الجبهة العربية ، حلم العرب من قديم الزمن ، أصبحت اليوم حقيقة واقعة .

الجبهة المسلحة الموحدة المصالح والأهداف ، والمستعدة ـ من هذه اللحظة لسحق العدوان ، والمتحفزة ـ من هذه اللحظة ـ لمواجهة الافتئات على الحقوق والصامدة ـ من هذه اللحظة ـ أمام السيطرة والتدخل الأجنبي ، والزاحفة ـ من هذه اللحظة ـ نحو أهداف الشعوب ، لا أهداف أعداء الشعوب ! الشعوب العربية التي كانت ـ قبل ظهور الجبهة الجديدة ـ فريسة لصهيون ولحلفاء صهيون ، ومطية لكل أفاق مغامر ، متسلل إلى أرض العرب !

من هذه اللحظة ، سيتغير التاريخ .

من هذه اللحظة ستكتب صفحات جديدة لكفاحنا المقدس الذي مارسناه طوال عشرات السنين ، ودفعنا ثمنه آلاف الشهداء ، في فلسطين وغير فلسطين ، في معارك الاستقلال وتقرير المصير !

فمن هذه اللحظة ، سنقرر ـ نحن العرب ـ مصيرنا ، أما الذين تركوا مصيرهم ، في أيدي الأجنبي ، فهؤلاء أيضًا لن تتخلى عنهم ، لأنهم عرب من دمنا ولحمنا ، يشتركون معنا ، رغم كل شيء ، في المصلحة والهدف والمصير !

هؤلاء الذين أغراهم المستعمر ، بالبعد عن الجبهة العربية الجديدة ، سنظل دائمًا بجانبهم ، نحميهم من أنفسهم ، ومن الشيطان الذي يدفعهم إلى الهاوية . . . هم وشعوبهم !

يا عرب ، لم يعد الزمن عدوًا لكم ، بل أصبح نصيرًا وحليفًا ، فكل دقيقة تمر ـ منذ الآن ـ ستحمل لكم القوة والمهابة والاحترام .

لن نعيش بعد اليوم ، كما عشنا من قبل ، جامدين صاغرين مستسلمين، ينهش فينا الظلم والعدوان والذل ، فقد ولدت الجبهة المسلحة !

ولدت الجبهة التي ستحمينا ، ولدت الجبهة التي سترد العدوان بالعدوان!

لن نعطي خدنا الأيسر لأحد ، ولا الأيمن أيضًا ، بعد أن وقع سعود والقوتلي وجمال ، وثيقة تحرير العرب ، فأصبحنا قادرين على رد الصفعات، بالنار والحديد ، في هذه المرة !

يا عرب ، يا شعوبًا شربت كؤوس المر على الدوام ، ويا شعوبًا نكبت بالخونة والعملاء وبالظالمين ، ويا شعوبًا ساقوها في الماضي لى حتفها ، ويا شعوبًا جردوها على الدوام من حقوقها ، ويا شعوبًا منعت من تقرير مصيرها .

اليوم يفتح لكم التاريخ بابه الكبير لتصلوا إلى الحق ، ولتنعموا بالعدل ومن أمامكم جبهتكم المسلحة ، تضرب في الحال وبلا هوادة أو مراوغة ، العدو أن حاول غلق الباب !

نحن لا نهدد مصير أحد ، ولا نريد اغتصاب حقوق الغير ، نحن العرب نريد الحرية ، نريد العدل ، نريد احترام حقوق الإنسان ، نريد كما قال سعود والقوتلي وجمال ، في بيانهم التاريخي العظيم ، العمل للسلام،

وتحقيقه والمحافظه عليه بالتعاون الصادق بين الدول على أساس الاستقلال والمساواة التامة .

نريد كما قال سعود والقوتلي وجمال في بيانهم المشترك ،تنفيذ قرارات مؤتمر باندونج ، وتجنب الأمة العربية ، مضار الحرب الباردة ، وحفظ كيان الأمة العربية ، والدفاع عنها ضد أخطار العدوان الصهيوني ، والسيطرة الأجنبية !

نريد كما قال الثلاثة الكبار ، الدفاع عن الدول العربية كلها على هدى أمنها الحقيقي ، وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية ، تلك الأحلاف التي تستخدمها الدول الكبرى ، لخدمة مصالحها الذاتية ، مضحية في سبيل ذلك، بقضايانا وأمانينا ، وحقوقنا نحن العرب !

إن إرادتنا ـ نحن الشعوب العربية ـ هي التي أوجدت الجبهة العربية المسلحة ، هي التي جعلتها أمرًا محتومًا استمعوا إلى الثلاثة الكبار ، وهم يقولون :

« لقد شد من عزمنا ، وقوى روحنا ، ما لاحظناه بارتياح ، من زيادة الوعي الوطني في الأمة العربية ، وأننا لننظر في إعجاب واطمئنان ، إلى الدور العظيم ، الذي أصبح الرأي العام العربي ، يقوم به ، في توجيه الحوادث ، بيقظة مستنيرة وشجاعة حكيمة ، واستطعنا بذلك ، أن نجمع إرادتنا على خطة كاملة ، نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت .

يا عرب ، نحن الشعوب العربية ، ولا أحد غيرنا ، الذين نوجه الحوادث ، وذلك هو دورنا العظيم .

لم يعد هناك من يستطيع فرض إرادته علينا .

لم تعد وحـدتنا مزيفة ، إنها اليـوم حقيقة ، لأن الرأي العـام العربي ، النابض بمصالح العرب هو الذي صنع الجبهة العربية الجديدة المسلحة .

صنعها وحدد خططها وبرنامجها في العمل ، كما حدد أهدافها .

إن إرادة الشعوب اليوم ، هي التي تحدد كل الطرق أمام الحكام والقادة .

أما الذين لا يؤمنون بهذه الإرادة ، ولا يحترمونها ، فخططهم وبرامجهم وأهدافـهم ، لا يمكن بأي حـال ، أن تخرج عن نـطاق الورق ، والحفـلات والمآدب والخطب الرنانة !

مثل جبهة بغداد ـ تركيا ـ إيران ـ باكـستان ـ بريطانيا ، التي تزداد مقاومة شعوب تلك البلاد لهـا ، وتتحين الفرص ، لكي تهدمها ، وسـوف تهدمها بلا جدال !

يا عرب ، يا شعـوبًا انتظرت آلاف السنين ، يومها في العـدل ، ويومها في الحق ، وساعـتها في تقرير المصـير ، نحن اليوم لا ننتظر ، بل نتـقدم ، والذي سيتـعرض الطريق ، صهيونيًـا كان أم حليفًا للصهـيوني فسيرى شـيئًا جديداً ، لم يـخطر أبدًا على باله ، سيـرى الجبهـة الجديدة المسلحـة ، التي ستـضرب في الحـال ، لأنها من صنع الشـعوب ، وليست مـن صنع أعداء الشعوب !

الله أكبر ، والحمد لك يا رب العرب .

إرادة شعب

سبحان الذي يغير ، ولا يتغير .

إننا نذكر ولا نستطيع أن ننسى .

إننا نذكر تلك الأيام الخالية التي تبدو الآن بعيدة جداً لأعين الناظرين ، رغم أنه لا يفصل بيننا وبينها سوى عدد قليل جداً من السنين .

إننا نذكر أياماً سوداء حالكة السواد ، لم تمض عليها سوى سنوات تعد على أصابع اليد ، كانت مصر فيها بلد النفوذ الأجنبي ـ رغم المعاهدة والاستقلال ورغم الأحزاب والبرلمان ، فكانت الكلمة الأولى في تسليح الجيش كلمة الأجنبي ، وكانت الكلمة الفاصلة في سياستنا الداخلية للأجنبي، وكانت المشورة النافذة في سياستنا الخارجية للأجنبي .

إذا أرادت مصر زيادة عدد الجيش المصري وسلاحه ، صدرت الأوامر لإحدى المدمرات بالتحرك من مالطة إلى الأسكندرية ، فترتعد فرائص العرش والوزارة والبرلمان ، ويصبح مشروع التجنيد والتسليح طعماً للنيران أو على الأقل للنسيان .

وإذا عرض للبحث قانون يتعلق بالأمن العام ، زادت عيون المستعمر احمراراً ، فازدادت وجوه الحكام المصريين اصفراراً وطويت صفحة القانون إلى أجل غير معلوم .

وإذا أطبقت جيوش مصر والعرب على الصهيونيين في تل أبيب ، صاح الأمريكيون والفرنسيون والبريطانيون ، صيحة الفزع والجزع لمصير ربيبتهم إسرائيل ، فلا يلبث حكام مصر من أكبر كبير فيهم إلى أصغر صغير ، أن

يصدعوا بالأمر ، ويعلنوا هذه الأيام ، إذ أنقذتها الهدنة المشؤومة من حكم الإعدام . . .

وإذا احتدمت المناورات السياسية ، واهتزت مقاعد الحكم تحت إحدى الوزارات الحزبية ، كانت كلمة الأجنبي هي وحدها فصل الخطاب وأصبحت عبارة « لا تغيير » تجرى علي ألسنة النواب والوزراء بالعبارة الإنجليزية المشهورة NO . Change .

هذه أيام لا نزال نذكرها ، ولا ننساها .

ويبدو أن الإنجليز والأمريكيين أيضًا يذكرونها ولا ينسونها ، والفرق بيننا وبينهم أننا نعلم أنها أيام ذهبت إلى غير رجعة ، وهم يتصرفون وكأنهم يعيشون في تلك الأيام !

وعلى ضوء هذا الفارق الجسيم نستطيع تفسير الضجة المرذولة التي جلجلت في عواصم الدول الغربية حول صفقة السلاح المصرية التشيكوسلوفاكية .

كأنما تعيش مصر اليوم كما عاشت بالأمس تابعة ذليلة بمشيئة الأجنبي ، وتدخله في أخص شؤونها وأقدس حقوقها كدولة مستقلة ذات سيادة وكرامة .

ولو أدرك الفرسان انصاخبون الحانقون أن مصر تعيش في عهد الثورة والاستقلال لا في عهد الانحلال والاضمحلال ، لكانوا في غنى عن تدبير هذه المظاهرة الشائنة التي لا تقدم ولا تؤخر ، بل تزيد مصر تمسكًا باستقلالها وتزيد المصريين حرصًا عليه لا يعدله إلا حرصهم على الدماء التي تجري في عروقهم .

ألا فليعلم فرسان العالم الحر أن مصر المستقلة في عهد الثورة ، أصبحت

حرة مطلقة الحرية تفعل ما تشاء ، وتعقد من الإتفاقات والصفقات ما تشاء ، وتبحث عن مصالحها قبل كل مصلحة أخرى في عالم أصبحت مصالح الشعوب فيه مقدمة على كل شيء .

ألا فليعلموا أن الدنيا أصبحت غير الدنيا ، وأن مصر الحرة المعتزة بحريتها واستقلالها وكرامتها لا تقبل وصاية من أحد ، ولا تسمح لأحد أن يضعها تحت رحمته أو يفرض عليها إرادته ، وهي قد اتخذت موقفًا لا سبيل إلى زحزحتها عنه ، ولا جدوى من محاولة التأثير عليها بالتهديد والوعيد .

إن مصر في عهد الثورة لا تأتمر إلا بإرادة شعبها ، وقد ذهبت أيام الحكومات الحزبية التي كانت تنحني لإرادة الأجنبي ، وترتعد فرائصها أمام التهديد والوعيد ، وأصبحت لمصر حكومة تحكم حقًا باسم الشعب ، بواسطة حكام من صميم الشعب ، لا يعترفون إلا بإرادة الشعب التي ليس بعدها ولا فوقها إرادة .

لماذا رفضت مصر
المعونة العسكرية الأمريكية؟

* في ٢٩ أبريل سنة ١٩٥٢ وقبل قيام الثورة بحوالي ثلاثة أشهر عقد اتفاق خاص بين الحكومة المصرية والحكومة الأمريكية لشراء الأسلحة من الحكومة الأخيرة نتيجة لحوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ لإمداد مصر بالأسلحة الخاصة بأغراض الأمن الداخلي فقط .

* بعد قيام الثورة طلبنا من الحكومة الأمريكية أسلحة للجيش بناءًا على هذا الاتفاق ، وقد بدأت الحكومة الأمريكية في ديسمبر سنة ١٩٥٢ استعدادها لإمداد مصر بالأسلحة على أساس الدفع نقدًا . . . ولكن :

* بعد مفاوضات طويلة ومباحثات لا تنتهي ـ على الطريقة الأمريكية ـ رفضت الحكومة الأمريكية طلب مصر بحجة أنها لا يمكنها تزويد مصر بالسلاح طالما لم تحل مشكلة قناة السويس ، وقطعت المباحثات من جانب الحكومة الأمريكية في فبراير سنة ١٩٥٣ .

* ثم تجددت في أغسطس سنة ١٩٥٤ حينما عرضت الولايات المتحدة مشروع اتفاق المعونة العسكرية . . . وقد رفض هذا الاتفاق من جانب مصر.

* لأنه يفرض قيودًا وسيطرة اقتصادية وعسكرية وسياسية على مصر واستقلالها وكرامتها .

* أما القيود العسكرية فتتمثل في إرسال بعثات عسكرية أمريكية للإشراف على التدريب وصيانة الأسلحة ، وبالتالي لفرض النفوذ داخل

القوات المسلحة المصرية ، وعهدنا بالبعث البريطانية المشهورة قريب .

* وأما القيود الاقتصادية فتتمثل في أن تتعهد مصر بعدم بيع أية مواد استراتيجية للكتلة الشيوعية ، ونظرًا لأن قائمة المواد الاستراتيجية المحظور على مصر تصديرها إذا وقعت مثل هذا الاتفاق تشمل محاصيل مصرية يقوم عليها الاقتصاد القومي فإن نتيجة ذلك التوقيع تصبح سيطرة أمريكا وتحكمها بموجب الاتفاق في كيان البلاد الاقتصادي .

* وما من شك في أنه إذا تمكنت الحكومة الأمريكية من السيطرة على قواتنا المسلحة من خلال الخبراء والبعثة ، وتمكنت من فرض سيطرتها على سياستنا الاقتصادية بتحكمها في كيان البلاد الاقتصادي ، فإن النتيجة الحتمية لذلك هي السيطرة السياسية على مصر أيضًا .

لهذه الأسباب رفضت مصر عقد هذا الاتفاق ، وطالبت بأن لا توضع أية شروط لتسليح الجيش المصري ، بل أكثر من ذلك :

تنازلت مصر عن هذه المنح وطالبنا بأن نشتري السلاح بحر مالنا دون التزامات وعلى أسس تجارية بحتة .

والآن يطيب لي أن أسجل على البيان الذي أصدرته السفارة الأمريكية ما يأتي :

* اعتراف البيان بأن طلب مصر شراء الأسلحة من أمريكا دون عقد اتفاق عسكري قد قوبل باهتمام من أمريكا بعد تسوية مشكلة قناة السويس .

ولقد سويت المشكلة منذ سنة ، فهل لي أن أتساءل عما إذا كان هذا الاهتمام جديًّا ؟

وإذا كان كذلك ، هل تستدعي دراسة هذا الموضوع كل هذه المدة والحكومة الأمريكية تقول أنها كانت معنية به ؟ أم أن الأمر هو التسويف المتعمد !

* ذكر البيان أيضًا في سياسة الحكومة الأمريكية بنيت على ما جاء في الميثاق الثلاثي عام ١٩٥٠ وأن أمريكا تبيع الأسلحة لمصر وإسرائيل وفقًا لهذه السياسة .

والله صحيح ؟

فإن أمريكا لم تورد لمصر أية قطعة من السلاح ، ومعنى ذلك أن البيع كله لإسرائيل ، ولإسرائيل فقط .

والسؤال الآن :

ماذا أريد بهذا البيان ؟

هل هو الدفع عن سياسة أمريكا ؟

أم هو التأييد المطلق لموقف مصر ، وصرخة جمال ، وثورة العرب على هذا الخداع ؟

obeikandl.com

قصة السيطرة والتحكم

إنني أعتبر بحق أن صفقة الأسلحة المصرية نقطة تحول خطير في مستقبل هذا الجزء من العالم وأخطر ضربة وجهت للاستعمار وسياسة مناطق النفوذ التي طبقتها الدول الكبرى منذ أكثر من قرن مضى .

ولعل هذا هو السر في انفلات أعصاب ساسة الغرب وصحافته على نحو بلغ حد الهذيان أول الأمر ، ثم لم يلبثوا أن خانتهم أعصابهم فاعترفوا صراحة ولأول مرة علنًا أمام العالم بحقيقة نواياهم التي طالما ضللوا عنها الشعوب وقت أن كانت أقدامهم راسخة وكلمتهم هي العليا في هذه المنطقة ، ومناطق أخرى كثيرة من العالم .

ومنذ أن أذاع جمالاً خطابيه التاريخيين في معرض القوات المسلحة ثم في الكلية الحربية والعالم يشهد افتضاح أكبر مؤامرة عرفها التاريخ منذ عهد ما بعد الميلاد على لسان أطراف هذه المؤامرة.

بدأت هذه الفضيحة عندما قامت قيامة السياسيين الغربيين وصحفهم غداة خطاب جمال الأول لتنادي بأن المسألة هي مسألة التوازن الذي سيضيع والذي تعهد به الفرسان الثلاثة وكانوا أول من خرقوه كما قالت المستندات .

ولكن جمال قال :

هراء . . . أن الأمر أمر السيطرة والتحكم وفرض النفوذ وهاجوا وماجوا لما أن انفضح أمر التوازن الذي يساوون فيه بين واحد وبين ثمانين .

وتنبه الساسة والصحافة فجأة إلى حجة جديدة لعلها تكسب هذه المرة فقالوا إن الخطر الداهم هو في سباق التسلح . . . لأن مصر تريد أن تؤمن

نفسها وحدودها ضد العدون ومرة أخرى قال جمال :

« هراء أيضًا ، أن الأمر أمر السيطرة والتحكم وفرض لنفوذ » .

فلما يئسوا من هذا الخداع راحوا يضربون على نغمة جديدة هي البكاء على السلام الذي أصبح مهددًا لأن مصر يجب ألاَّ تسلح جيشها ليرد العدوان بل ويجب أن تستسلم لاعتداءات إسرائيل ، وتفوق إسرائيل الذي كانوا يباهون به علنًا وفي غير حياء بالمقالات وبالرسوم .

السلام الذي يحققونه في شمال إفريقيا بقوات حلف لأطلنطي ، وبدماء شعوب عزلاء من كل شيء إلا الإيمان .

والسلام الذي تريده إسرائيل اعتداء كل يوم وتوسعا في كل اتجاه .

ولكن جمال صمم قائلاً :

هراء ـ أن الأمر ليس أمر السلام وإنما هو السيطرة والتحكم وفرض النفوذ، وظل جمال صلبًا ثابتًا .

وبدأ القوم في الانهيار لتظهر الحقيقة .

لقد تحولت النغمة إلى :

* عويل لأن الفنيين الروس سيقدمون مع السلاح ويسيطرون على القوات المصرية أو على أقل القليل سيتعاملون مع مصر .

* وفي المرحلة التالية هذا معناه تسرب الشيوعية والنفوذ الشيوعي إلى مصر البريئة التي يريدون لها الخير طوال عمرهم !

* ثم ، قطع الغيار ، وكيفية استخدام السلاح ، أن كل هذا يتطلب اتصالاً وثيقًا بين مصر وبين الكتلة الشيوعية .

وظل جمال صلبًا ثابتًا على رأيه وموقفه إلى أن انكشف كل شيء .

إنهم اليوم يقولون علنًا :إن هذه الصفقة لطمة لنفوذ لغرب في هذه

المنطقة واستمع معي إلى جريدة التيمس الإنجليزية الوقورة تقول في عددها الصادر في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٥ ما يأتي بالحرف الواحد :

« كانت الدول الغربية إلى الآن بمثابة الأوصياء الوحيدين في تلك المنطقة والسلطة التي كان يباشرها في الأراضي العربية بل الحاكم الأوحد في الشرق الأوسط » .

« إن حاجات الغرب الاستراتيجية وثروة الزيت التي يملكها منذ فترة الحرب العالمية الأولى ، وعناية الغرب بأن يحافظ على التوازن المضطرب بين إسرائيل والعرب ، كل هذا مجتمعًا جعل الدول الغربية تنظر إلى الشرق الأوسط بوصفه منطقة نفوذها » .

وقالت النيويورك تيمس :

« من السخف أن يتمسك المصريون بقولهم : إنه ليس من شأن أي أحد سواهم أمر الحصول على الأسلحة سواء من الجهة أو النوع الذي يريدون » .

إذن فالقضية ليست قضية التوازن ولا سباق التسلح ، ولا السلام ، ولا الفنيين الروس ولا قطع الغيار ، وكيفية استخدام السلاح .

وإنما القصة هي كما صمم عليها جمال من أول يوم إلى أن اعترفوا بها صراحة اليوم قصة السيطرة والتحكم وفرض النفوذ .

لقد كان السلاح هو الأثر الباقي من آثار السيطرة الغربية في هذه المنطقة، وعن طريق التحكم في السلاح استطاع الغرب أن يعقد حلفه مع نوري السعيد ، الذي يبرره نوري السعيد إلى اليوم بشيء واحد فقط هو أنه كان الوسيلة الوحيدة للحصول على السلاح .

على حساب مصر

وقال جمال للسفير الأمريكي :

هل تعلمون في أمريكا حقيقة نوايا إسرائيل التي عبرت عنها خطب زعمائها في معركة الانتخابات ؟

« إن مناحم بيجن ينادي بالتوسع حتى تشمل إسرائيل الأرض التي وعدوا بها منذ ألفي سنة أو يزيد والتي تمتد من النيل إلى الفرات .

«وبن جوريون ، إنه الآخر يقول هذا متوعداً العرب بالعقاب والتأديب» .

كان هذا الحديث يدور بين جمال والسفير الأمريكي أيام الانتخابات التي كانت تجري في إسرائيل ، وكان جمال يوضح في كل كلمة منه الخطر الذي يهدد مصر والذي ظهر واضحًا في هذه النوايا العدوانية التي أعلنت وقت المعركة الانتخابية ، والتي تعمل إسرائيل على تحقيقها عن طريق التسلح والاستعداد الذي يجري على قدم وساق .

ثم قال جمال :

إن إسرائيل تحاول أن تسلح جيشها بصورة تشعرنا بالخطر ، في الوقت الذي تشعر فيه الصحف الأمريكية جميعًا بل تباهي بأن جيش إسرائيل بلغ المائتين والخمسين ألف جندي ، وأن لديه من العدة والعتاد مايمكنه من هزيمة الدول العربية مجتمعة .

إنني أطالبكم بالسلاح منذ ثلاثة أعوام ، وأنا اليوم أشعر بالخطر يهدد بلادي ، وأنا أطلب اليوم طلبين :

أولهما : السلاح .

ثانيهما : وما هو حقيقة رأي الحكومة الأميركية في إمدادنا بالسلاح .

كان يدور هـذا بخلدي وأنا أقرأ جـريدة الواشنطن بوست الأمريكيـة في عددها الصادر في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

إن الجريدة تقول :

« إن الأسلحة التي ستستوردها مصر ستستعمل ضد إسرائيل ، وإذا ما أرادت أمريكا أن تحول بين كسب مصر الحرب ضد إسرائيل فعليها أن تقدم أسلحة إلى إسرائيل تفوق ما تستورده مصر من الكتلة الشرقية .

وتواجه وزارة الخارجية الأمريكيـة الموقف الذي يحتم عليها إما أن تناصر مصر أو تناصر إسرائيل ، ولا يمكن لأمريكا أن تضحي بإسرائيل في سبيل كسب رضاء مصر .

إن إسرائيل لن تموت أبدًا ، ولذلك فإن ازدياد السكان فيها ليس إلا نتيجة واحدة وهي أن توسع حدودها على حساب مصر » .

لقد تنبه جـمال منذ زمن طويل لهذا الذي أفصحت عنه هذه الجريدة ، بل وواجه به أمريكا .

تنبـه جمـال إلى أن أمريكا سـتضـحي بالعـرب في النهاية تحت ضـغط الصهيونية العالميـة ، وكان أفصح دليل على ذلك تدفق السلاح على إسرائيل ومنعه عنا وعن العرب أجمعين .

واليـوم حين تقول النـيويورك بوست : إن أمـريكا لا يمكن أن تضـحي بإسرائيل في سبيل كسب رضاء مصر فـإنها لا تقول شيئًا جديدًا ، أنها تحقق كل ما أحسسناه وتخيلناه في سنة ١٩٤٨ ونحن نحارب في فلسطين .

لقد كنا نحس ونحن نحارب في فلسطين أن هناك مؤامرة كبرى للقضاء على القومية العربية ، تسندها أمريكا . ويدفع بها النفوذ الصهيوني ، والمال الصهيوني .

وأحسسنا أيضًا أن إسرائيل لن تقف عند حد ونحن نذكر جيدًا كيف كانت أمريكا تدفع إسرائيل للقضاء على القومية العربية سنة ١٩٤٨ .

نحن نذكر ذلك المؤتمر الصحفي الذي عقده السيد ترومن قبل مايو سنة ١٩٤٨ ليقرر سياسة أمريكا ، وقيل له يومئذ :

وماذا يكون موقفك من العرب إذا عاونت اليهود ؟

فقال ترومان :

وهل يوجد عربي في أمريكا ؟ إن في أمريكا خمسة ملايين صوت يهودي أنا في حاجة إليها ؟

وهكذا قرر ترومان رئيس أمريكا وقتذاك أن يضحي بالعرب من أجل أصوات اليهود في الانتخابات !

يا إلهي ، هل بعد كل هذا يتصورون أن نترك مصيرنا ومقدراتنا لكي يضحي بها ترومان يوم أن يعود أو من يشبهه أو يقل أو يشتد تطرفًا عنه ؟

لقد كان الغرب يحاول خداعنا دائمًا بالوعود وسياسة التهدئة التي حاول دائمًا أن يغطي بها لعبته .

ولكننا كنا نحس بالخطر ونلمسه ولذلك طالب جمل بالسلاح في إصرار.

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد حاولوا إغراءنا بالوعود ، في الوقت الذي ينهال فيه السلاح والهبات والتبرعات على إسرائيل حتى وقف بن جوريون ينادي بخطته التي تهدف إلى تجمع يهود العالم في إسرائيل ، وأنه سيسكن في النقب أربعة ملايين يهودي جدد ، وأنه سيعمل على تحويل مياه نهر الأردن لهم .

وتطابقًا لهذا الكلام تقول الواشنطن بوست :

« إن إسرائيل لن تموت أبدًا وأن ازدياد السكان فيها ليس له إلا نتيجة واحدة هي أن توسع حدودها على حساب مصر ، لا أمريكا » .

إننا نتسلح اليوم لكي لا نسمح بهذا أو شبيهه .

وأنت تجهلين يا أمريكا تمام الجهل قوة العرب ونفسية العرب ، فقد نتقبل الإساءة ، ولكن إلى حين .

اذكري يا أمريكا أن مصر قد حمت أوروبا من التتار وأن مصر تحت قيادة صلاح الدين هزمت جيوش ريتشارد .

وأن مصر اليوم رجل واحد ، ومصممة على أن تدافع عن نفسها ضد العدوان الإسرائيلي ، في كل أشكاله .

وأن مصر تعلم أيضًا أنها في دفاعها هذا تجابه قوى إسرائيل وحلفاء إسرائيل والصهيونية العالمية بنفوذها وأموالها وإغرائها وتهديداتها التي تعرفينها جيدًا يا أمريكا .

إن مصر ستنتصر يا أمريكا لأنها تؤمن بنفسها .

وقد احتلت مكانها بكفاحها لا بالسيطرة والعدوان .

فهلا تعتبري بعد يا أمريكا بما يحيط بك من كراهية وحقد في كل مكان؟

٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥

من كان يتصور منذ سنتين ـ أي في فبراير ١٩٥٥ ـ أن في يوم من أيام ذلك الشهر سيبدأ تاريخ جديد للعالم كله ؟

إنني أذكر جيدًا ذلك اليوم ولن أنساه ، ويذكره معي كل مصري وكل عربي وكل إنسان حر في أية بقعة من بقاع هذا العالم .

إنه يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ ، لقد أعد بن جوريون لذلك اليوم مفاجأة أراد بها أن يفرض الصلح فرضًا على العرب وهو الشعار الذي اتخذه لنفسه في إسرائيل ، وكان بن جوريون وزيرا للدفاع ، فأمر قواته بضرب المدنيين في غزة بنفس أسلوب الجبن الذي تجيده إسرائيل وذلك بأن تصوب المدافع من أرض فلسطين المحتلة إلى مدينة غزة ثم تطلق قذائفها وتهرب من مواقعها لتحتمي داخل إسرائيل .

وكان بن جوريون يعتقد أنه بهذه الضربة إنما يرهب مصر ويخوفها ، ولم يقدر مطلقا أن هذه الضربة كانت هي نقطة التحول الفاصلة في الصراع المحتدم على أرض العرب .

ففي مصر لم يخف أحد ، ولم يرتهب أحد وإنما بدأت تتكشف لنا حقيقة ما يراد بالعرب وأرض العرب واستقلال العرب .

ن أول هذه الحقائق هو تعمد منع لسلاح عن مصر وإعطائه لإسرائيل.

ومصر لم تطلب في يوم من الأيام هبة من أحد ولا معونة من أحد ، وإنما كانت مصر تطلب شراء السلاح بحر مالها ، طلبته مصر من بريطانيا فسوفت وماطلت برغم أنها كانت قد قبضت الثمن مقدمًا ، وطلبته مصر من

أمريكا فتظاهرت بالموافقة ولكنها كانت تصطنع الحجة تلو الحجة لكي لا ترسل السلاح من جهة ولا ترفض من جهة أخرى .

احتجت أول الأمر بالنزاع الذي كان قائمًا بين مصر وبريطانيا قبل الجلاء، ولكنها حين وجدت أن اتفاقية الجلاء قد أمضيت عادت فاحتجت بمختلف الحجج إلى أن كان اعتداء ٢٨ فبراير المشهور .

وكان ثاني هذه الحقائق هو أن عملية بيع السلاح أصبحت عملية مساومة سياسية بدلاً من أن تكون تجارة حرة شريفة .

فقد كان الغرب يتوهم أنه هو الوحيد الذي يملك السلاح وأنه هو المتعهد الوحيد لبيعه في هذه المنطقة ، بل كان يتوهم أكثر من ذلك أن الغرب في سبيل حصولهم على السلاح منه سيدفعون إن آجلا أو عاجلاً ثمنًا آخر إلى جانب الجنيهات ، ثمنًا على استقلالهم ، وثمنًا من حريتهم ما دام المتعهد الوحيد يصر على ذلك ، وما دام تهديد إسرائيل قائمًا .

أما ثالث هذه الحقائق فهو أن الغرب نشط فجأة في المنطقة وبدأ ينفذ خطة السيطرة الفعلية عليها عن طريق تكوين حلف بغداد .

لقد تكون هذا الحلف في شهر يناير سنة ١٩٥٥ واعتدت إسرائيل في الشهر التالي أي فبراير سنة ١٩٥٥ ، ولم تكن هناك حاجة إلى ذكاء أومهارة لكي يستطيع الإنسان أن يحسب الحسبة .

ففي الوقت الذي ترفض فيه بريطانيا وأمريكا بيع السلاح لمصر بيعًا شريفًا على أساس تجاري بعد آن عرفتا أننا سندفع ثمنه بالجنيهات فقط لا بالاستقلال ولا بالسيادة ،راحت هاتان الدولتان تبحثان عمن يقبل أن يأخذ السلاح ويدفع الاستقلال ويضحي بالسيادة .

أما رابع هذه الحقائق فهي أن الغرب الذي أقام إسرائيل على حساب أرض العرب وعلى حساب مشرديهم ، يصر على أن يجعل منها قاعدة لاستعماره وفرض سيطرته .

فقد كانت النظرية التي يبرر بها الغرب قيام حلف بغداد هي وجود خطر خارجي يهدد المنطقة من ناحية روسيا ، وعلى هذا الأساس توهم الغرب أن العرب سيتوجهون بكليتهم إلى مجابهة الخطر الروسي ويتركون الخطر الحقيقي الذي يقوم في قلب بلادهم وهو إسرائيل ، وعندئذ تستطيع إسرائيل أن تتوسع كما تشاء وأن تفعل ما تشاء لأن حلفاءها هم حلفاء العرب ، والذين أقاموها هم الذين يسيطرون على المنطقة بموافقة أهلها .

وبمضي الوقت طبعًا ـ حسب خطة الغرب ـ وكان لابد أن تنتهي المسألة بفرض الصلح من إسرائيل على العرب بغض النظر عن اللاجئين وعن حقوق عرب فلسطين وعن ضياع فلسطين ذاتها وأجزاء أخرى من أرض العرب .

كانت هذه هي أهم الحقائق التي أفصح عنها بن جوريون باعتدائه يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ .

ومنذ ذلك التاريخ والحوادث تثبت صدق ما حدسناه .

فحين حطم جمال عبد الناصر أسطورة احتكار بيع السلاح واشترى لمصر أحدث الأسلحة من غير قيد ولا شرط ، ثارت بريطانيا وعصفت الهيستريا بأمريكا .

وحين كشفت مصر حقيقة حلف بغداد ثار الغرب ووصف مصر بأنها تمهد للشيوعية .

وحين قالت مصر : إن إسرائيل قاعدة للاستعمار وكشفت حقيقة الدور

الذي أعدت له إسرائيل ، هجمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في مؤامرة يائسة على مصر لكي يقضوا نهـائيًا على كل ما يعرقل خططهم ويكشف نواياهم ، ويحفظ عليهم قاعدتهم من أجل عدوان جديد .

ولا يزال الغرب يصر على عقليته وأخطائه .

ولا زلنا وسنظل نحارب من أجل سيادتنـا واستقلالنا ، فلن نؤمن بخطر وهمي من خارج المنطقة والخطر الحقيقي جاثم في داخلها .

ولن نسمح لقاعدة الاستعمار أن تحقق ما يريده منها الاستعمار .

إنها ذكرى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ .

obeikandl.com